



الروائية والناقدة المصرية سلوى بكر لـ «الثقافة»

هناك خطوط حمراء يمنع الكاتب من الاقتراب منها

عن التداخل بين نسيج الحياة هنا وهناك وانصهار شخصية الانسان خلال هذا العصر المليء بالتناقضات داخل بوتقة واحدة لتخرج في النهاية شخصية جديدة لها ملامح خاصة تجمع بين الجديد والقديم وتؤكد عراقية الانسان القادر على هضم كل ثقافة واردة وإعادة إنتاجها على نحو لم يسبق له مثيل..

ولكنه اين يحضر المثقف في كل هذا الحاصل؟ أين موقعه ودوره في كل هذه التفاصيل في وسط كل هذه المتغيرات التي تدفع بالافراد العاديين الى اقتحام مجالات ومساحات الفساد والرضوخ الى اغراءات المادة والرواج الإعلامي ومن هنا كان منطلقني في حوارني مع سلوى بكر..

من خلال إجراء قراءة مكثفة لمجموعة من أعمال الروائية للمصرية سلوى بكر (العربة الذهبية لاتصعد إلى السماء) ورواية (وصف الليل) والجزء الأول من روايات (البشموري) من خلال كل هذا نجد ان سلوى بكر تحاول ان تغوص بعيدا في اعماق حياتنا الاجتماعية وتقتحمها بجرأة وشجاعة مستندة إلى ماتملك من قدرة على كشف جانب منسي من العلاقات الاجتماعية له خصوصيته، لكنه قابل في معظمه للانسحاب على المجتمع الاكبر والاسرع وهي تقوم بذلك بأسلوب سهل وجذاب ومرونة في القص مستندة إلى الروح الشعبية الدافقة بالسخرية.. هذا بالإضافة إلى انها تعتمد على الافصاح الشديد معبرة

حاورها في صنعاء/ جمال جبران

● اسالك اللحظة والآن عن دور الترجمة في جذب الروائي العربي الى هذا المحيط الفاسد الذي يعمل على إجباره لإعطاء بعض أو كثير من التنازلات بغية ترجمة كتبه ورواياته الى لغات اجنبية تعمل على إعطائه صبغة عالمية.. وانت واحدة من أكثر الروائيات العربيات ترجمة إلى اللغات الاجنبية.. الالمانية والانجليزية والهولندية والفرنسية والسويدية وحتى الكورية..

● صدقني لو قلت لك حادثة حصلت معي مع قارئة المانية اطلعت على إحدى رواياتي طلبت من بعدها ان اقوم بحضور توقيعني على الرواية كي تقوم بترجمتها إلى اللغة الالمانية هذا الحادث أسعدني تماما وجعلني استعيد مقولة الشاعر أدونيس الجميلة..

● أنا لا أريد جمهورا.. أنا أريد قارئا.. ومن هذا المنطلق يمكن أن ترى انني لا اسعى وراء ترجمة اعمالني إلى اللغات الأجنبية الأخرى لأن كمية القراء لاهمني بقدر ما يهمني العثور على قارئ نوعي يقراني باهتمام.

● ولكن هل لي أن ابيد لك ملاحظة عابرة طاماً ونحن نتحدث عن الترجمة.. لماذا ازداد القبول على ترجمة أدب المرأة العربية على الرغم من قلة إنتاجها مقارنة بكمية الترجمة للادب الرجالي؟ لا على العكس اعتقد أنك مخطئ في ملاحظتك هذه فلو نظرنا إلى كمية الترجمة من الأدب النسائي لرأينا انه يمثل نسبة ضئيلة جداً مقارنة بالادب الرجالي.

● ولكن في الوقت ذاته يمكنك أن تلاحظ أن نوعية الأدب النسائي الذي تتم ترجمته يتمتع بجاذبية وعمق شديدين من خلال محاولته تقديم إشكالية مكانة المرأة العربية وسعيها الدؤوب للانتصار على كافة المعوقات التي تقف أمام طريقها.

● ولكن هل يصلح كل هذا الإنتاج الأدبي النسوي للترجمة خصوصا إذا ما وضعنا على أيدنا على تمتع هذا الأدب ببساطة استجدائية باكية بما ينزع عنه صفة الألب؟

● ويمكنني بدوري أن أسالك.. وهل يصلح كل هذا الكم من الأدب الرجالي للترجمة؟

● لا يمكن أن نحسب الإشكالية من خلال عقد هذه المقارنة أنا أسالك عن الأدب النسائي دون الدخول في دهاليز الأفضلية..أفضلية هذا عن ذلك أو ذلك عن هذا.

● في تصوري ان ماتم ترجمته من أدب نسائي إلى اللغات الأجنبية الأخرى يتمتع بقدر عال من الحرفية وإتقان وإمسك الأدوات الكتابية بما مكّنه من العثور على خطاب أدبي رفيع المستوى.

إغراءات عالمية

● ولكن اسمحي لي سيدتي ان اتساءل عن سر هذا التسابق المحموم الذي نشهده من قبل بعض الأدباء بهدف ترجمة أعمالهم هل يعني ذلك رغبتهم في الوصول إلى العالمية وهل من الضروري أن ترتبط مسألة العالمية بتحقيق اسباب الترجمة؟

● ساحبلك يا عزيزي إلى إجابتي لسؤالك لأول ومن خلال تلك الحادثة التي أوردتها في سياق إجابتي توضح لك انني لم ولن أسعى لترويج ما أكتبه هذا التصرف يجعلني بعيدة عن احترامي لذاتي ومستوى ما أكتبه كل ما يهمني ان يبحث المترجمون عن إنتاجي الأدبي هذا وان حدث لمرات قليلة فإنه سيغطني طاقة كبيرة للاستمرار.

● وماذا عن الآخرين؟
● لقد تحدثت في بداية طرحك للسؤال الأول عن موجة الفساد هذه التي تعصف بكافة الاجتماعية.. فلماذا إذا نستنتج الفحة

وبعد ذلك وتحديدا في المرحلة الإعدادية وقع بين يدي كتاب (كليلة ودمنة) هذا الكتاب الثري الهام الذي أثر على ثقافي القادمة كثيرا.

● ثم بدأت في هذه المرحلة الاطلاع على الدوريات الشهيرة والفصلية وقد كانت مرحلة غنية وثرية وتميزت بازدهار الحياة الثقافية في مصر من خلال هذا الدوريات الثقافية مثل مجلة الفكر المعاصر التي كان يصدرها الدكتور زكي نجيب محمود، بالإضافة الى الملاحق الأدبية في صحيفة الأهرام وفي هذه المرحلة ايضا قرأت لنجيب محفوظ وإحسان عبدالقدوس ويوسف السباعي وغيرهم.

● إلا تلاحظين أن كلها أسماء لادباء مصريين.

● نعم اكتمل لك.. لقد ازدهرت في هذه الفترة أيضا حركة الترجمة التي تواكبت مع ازدهار حركة الفلسفة الوجودية في مصر بسبب ترجمة أعمال جان بول سارتر ويسموت دويوفوار.

● بالإضافة الى انتشار روايات الجيب المترجمة عن الادب العالمي.

● ولكن أين تقف حدود تاثيرك بالاعمال التراثية لقد ذكرت لنا كتابا واحدا وهو (كليلة ودمنة) هل يكفي هذا كي تستطيعي إنتاج رواية مثل (البشموري) التي ترحل بنا في تفاصيل الاجواء التاريخية في القرون الوسطى بكل ماكان يحكمها من تقاليد ومعتقدات.

● لا.. أبدا.. لقد ذكرت لك (كليلة ودمنة) على سبيل المثال لتلك المرحلة المبكرة من حياتي، ولكن إلى جوارها كانت هناك الحكايات والقصص التي كنت اسمعها من خلال جدتي وامي وهما تمتلكان مخزنا تراثيا ضخما.

● كما انني في مرحلة متقدمة وخلال دراستي الجامعية اتبحت لي فرصة الاطلاع على مجموعة ضخمة من الكتب التراثية اذكر منها ما قرأته لابن إياس والمقريري

والجبرتي.

● ولكن وفي هذه النقطة بالتحديد تبرز لنا إشكالية القدرة على الاستفادة من المخزون التراثي بهدف تحويله إلى عمل أدبي يحمل صفات الإبداع.

● هل تقصد رواية (البشموري) بجزايبها؟
● لا.. أبدا.. تقييمي للرواية إيجابي جدا.. ولكنني اطرح هذا السؤال لاستيضاح ما يحدث على الساحة الإبداعية على وجه العموم.

● نعم.. هذه إشكالية موجودة ومطروحة بقوة وذلك بسبب مجموعة من الاعمال التي تدعي معرفة بالتراث وتحاول ان تصيغ منه اعمالا روائية وهنا أمثلة عدة، بولاداعي لذكرها.

● ولكن بالمقابل هناك أمثلة إيجابية أخرى استطاعت ان تقدم رؤية إبداعية واضحة فيما يخص مسألة الاستفادة من التراث الروائي اللبني (أمين معلوف) مثلا.

● ولكن أمين معلوف يكتب باللغة الفرنسية؟
● نعم أنا مك في هذا ولكن لو لاحظت انه لا يتطرق أبدا إلا لخزونه التراثي العربي الخالص.

صورة الشرق

● تزورين اليمن بالتزامن مع وجود الاديب الالمانى العالمي (جونتر غراس) كيف تتظنين لهذه الزيارة.. خصوصا انه للمرة الأولى في حياته يقوم بزيارة بلد عربي؟

● يمكننا ان ننظر لهذه الزيارة على أكثر من مستوى على المستوى السياسي هي مسألة وتجربة مهمة جدا لاننا نحن في لحظة فيها صورة العرب سيئة جدا لدى الغرب وهذه الصورة تراكمت عبر قرون عديدة بشكل سلبي ثم جاءت أحداث 11 سبتمبر لتزيد هذه الصورة سلبية تجن وتعامل وامبريالية شرسة بالفعل.

● ولكن عندما يأتي شخص مثل جونتر غراس الى اليمن ويشاهد هذه العراقة وهذه

الحضارة وهذه الثقافة بمعناها الأشمل المتشعبة في تفاصيل الحياة في الماك في الملبس في رؤية العالم وعندما يعود جونتر غراس ويكتب ويقول ويتكلم عن هذه البيئة التي تمتلك صورة سلبية لدى الأخر سيعمل هذا بالتأكيد على تغيير هذه الصورة وهذا هذا استراتيجية ثقافية في التعامل مع الغرب في مفيد جدا لليمن وللغرب بشكل عام وهذا هو المهم.

● هذه قراءة سياسية لهذه الزيارة. ويمكننا ايضا قراءة هذه الزيارة زيارة جراس، قراءة ثقافية حيث المسألة الثقافية يجب ان تكون مطروحة بقوة فيما يخص العلاقة بين الشرق والغرب فنحن لانمتلك استراتيجية ثقافية في التعامل مع الغرب في دفع ثقافتنا داخل الثقافة الغربية وانصور انه قد ان الأوان لأن نفع ذلك لانهم لا يعرفون عنا شيئا إلا وفق إطار الرؤية الاستشراقية مصالحهم الحالية.

● إذا فهذا الحوار الذي دار بين جونتر غراس وبين المثقفين اليمنيين والعرب مهم جدا ويجب ان نحذره ونعمقه وانا تمنيت ان لاتكون زيارة جونتر غراس ليس لليمن فقط ولكن لمصر وللمغرب العربي وسوريا وحتى العراق ايضا في مثل هذه الظروف.

● ماذا لو قام غراس بزيارة مصر وكيف سيتم استثمار هذه الزيارة؟
● لا استطع ان اتوقع ما سوف يحدث لانني بعيدة عن أجهزة الاعلام الثقافية الرسمية ولكن من اعماق قلبي اتمنى ان يتم استثمار هذه الزيارة بالشكل المطلوب.

دراما مصرية

● وماذنا نتحدث عن الثقافة والاعلام المصري الآن.. وبمشاهدة ماتبته هذه الأجهزة من دراما قد تعكس واقعنا الثقافي.. ماضى تقويم لما يعرض؟ ولمستوى تأثيره على المجتمعات العربية؟

● سلوى بكر: تأثير مؤسف على المجتمعات كافة والمجتمع المصري على وجه الخصوص فانا اعتبر هذه الدراما مع بعض الاستثناءات النادرة مثل مسلسل (قاسم أمين) اعتبر هذه الدراما هي نوع من الحرب التي تستهدف العقل العربي وتفرغه من أي قضية ومن أي مسائل تهتم المعاش والاکثر إلحاحا في حياتنا نحن الآن نعيش في ظل هيمنة إعلامية ومرعبة تريد ان تفرغ عقولنا من أي مضمون.

● ماهي القضية التي تشغل بال المواطن؟ استطع ان اقول قضية غياب الديمقراطية في المجتمعات العربية بمعناها الأوسع والأشمل وقضية أن اختار وأن تكون هناك مسافة بيني وبين الأخر تسمح لي أن اختار قضية الاختلاف مع الأخر والأخر يقبل اختلافه معي هذه هي القضايا الجذرية أن تختار زوجتك.. أن تختار حبيبك أن تختار طريقة حياتك ان تختار مسكنك هذه الأشياء غير مسموح بها على الإطلاق وتعال معي الآن لنسأل هل كل هذه الدراما المصرية تناقش هذه القضايا المعنية بحياة الانسان العربي بصدق وجدية وتعكس إشكاليات الحياة العربية.

● إلا تعتقدين ان السبب يعود هنا لهيمنة بعض الاقلام المحددة على هذه الدراما؟
● السبب الاساسي في اعتقادي ان هناك شروطا موضوعة سلفا وخطوطا حمراء يمنع الكاتب الاقتراب منها ولذلك فإن كل كتاب الدراما هم يكيفون انفسهم عندما يكتبون ويدجون انفسهم في حظيرة هذه الشروطا الموضوعية.

